الدرس الثالثة عشر

بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

الحديث الحادي عشر

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح

الشرح ..

هذا الحديث راويه صحابيٌ جليل من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، وله مكانة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة ، وهو ابن بنته فاطمة رضي الله عنهما ، وكان له ولأخيه الحسين في قلب النبي عليه الصلاة والسلام منزلة ومكانة ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام الحث على حبهما ، وأن حبهما من حبه عليه الصلاة والسلام ، وأخبر أنهما سيدا شباب أهل الجنة ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنهما ريحانتاه كما جاء في الحديث « هما ريحانتيَّ في الدنيا »

ولهذا النووي رحمه الله تعالى لما أورد الحديث قال :

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله . سبطه أي ابن بنته لأن ابن البنت يقال له سبط وابن الابن يقال له حفيد .

قال " وريحانته " .. فقوله رحمه الله تعالى " وريحانته" أخذاً من الحديث الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام " هما ريحانتيَّ في الدنيا " والريحان نوع من الشجر له رائحة طيبة وزكية وهو يريح القلب . فيه معنى الراحة للنفس وفيه طيب النفس . فقوله عليه الصلاة والسلام " هما ريحانتيَّ في الدنيا " فيه معنى الراحة والارتياح والسرور، وكان عليه الصلاة والسلام يُسر برؤيتهما ولقائهما ويأنس بذلك ويرتاح لذلك ؛

فهما له عليه الصلاة والسلام بمثابة الريحانة التي يرتاح من يشمها ويأنس بشمها ويجد ابتهاجاً وسروراً بذلك هكذا كانا عنده صلوات الله عليه ورضي الله عنهما.

وأهل السنة والجماعة قاطبة يحفظون لآل البيت حقهم ، ويعرفون لهم مكانتهم ، ويقدرونهم قدرهم ، وينزلونهم منازلهم بدون غلوٍ ولا جفاء ، وبدون إفراط ولا تفريط ، وهم في آل البيت وسط بين من غلى وجفى ؛ لأن أناساً غلو في آل البيت وجعلوا لهم من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله كالادعاء بأنهم يعلمون الغيب أو بصرف شيء من العبادة لهم ، أو غير ذلك من حقوق الله تعالى وخصائصه . وآخرون على الطرف النقيض من هؤلاء جفوا في آل البيت ، وانتقصوا آل البيت ، ولم يعرفوا لهم أقدارهم ولا مكانتهم ولا حقهم ؛ فصاروا بين أمرين : أناسٌ غلوا وأناسٌ جفوا ، والحق قوام بين ذلك ، الحق وسط بين سيئتين وهدى بين ضلالتين ، لا غلو ولا جفاء ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وخير الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها ؛ ولهذا فإن أهل السنة والجماعة قاطبة يحفظون لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام قدرهم ، ويعرفون لهم مكانتهم ، وينزلونهم منازلهم دون غلو أو جفاء ؛ فالغلو فيهم حرام و الجفاء فيهم حرام والحق قوام بين ذلك ؛

ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة الثابتة في كتب الاعتقاد والمقررة في كتب الأصول محبة آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وتوقيرهم واحترامهم ومعرفة قدرهم وإنزالهم منازلهم ، والحذر في حقهم من غلو أو جفاء أو إفراط أو تفريط ، وهذه من نعمة الله ومنته على أهل السنة والجماعة سلَّمهم الله تبارك وتعالى من آفتين : من آفة الغلو وآفة الجفاء ، وكانوا في ذلك وسطاً عدولاً خياراً لاغلو عندهم ولا جفاء بخلاف من ضل و زل في هذا الباب إما بغلو أو جفاء .

ثم إن أهل الغلو في آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام إذا رأوا من أهل السنة إنكاراً على صور الغلو التي تُفعل في حق آل البيت ؛ يعدُّون ذلك نوعاً من الجفاء ، وهو في الحقيقة نوعٌ من إنزال آل البيت منازلهم ، والغالي إذا أُنكر عليه غلوه عدَّ إنكار غلوه نوعاً من الجفاء ، وسلَّم الله تبارك وتعالى أهل السنة ووقاهم من الآفتين ، وأضرب على ذلك مثالاً للتوضيح فقط لإمام من أئمة أهل السنة وعلم من أعلام الإسلام نفع الله به تبارك وتعالى نفعاً عظيماً في نشر الاعتقاد وبيان التوحيد وإيضاح السنة ورد البدع والضلالات ؛ أعني شيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب رحمه الله تعالى ؛ فهذا الإمام يرميه بعض خصومه وأعداءه بأنه يبغض آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام مع أن من يقرأ كتبه ويطالع سيرته يجد فيها حباً عظيماً لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، ويجد فيها توقيراً واحتراماً لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، ويجد فيها إنزالاً لهم منازلهم وبعداً عن الغلو والجفاء ، ومن عظيم حبه لآل بيت النبي وشدة حبه لآل بيت النبي أنه سمَّى أولاده بأسماء آل بيت النبي ، جميع أولاده إلا واحداً ؛ فسمَّى الحسن والحسين وفاطمة وعلي وعبد الله وإبراهيم ؛ فهؤلاء كلهم من أسماء آل البيت ، وواحداً سماه عبد العزيز ، ومعروف أن أغلى ما يكون عند الإنسان أبناءه ، والتسمية تدل على ماذا ؟؟

هذه التسمية " الحسن والحسين وفاطمة وعلي وعبد الله وإبراهيم " تدل على ماذا ؟

تدل على بغض أو حب ؟ تدل على ولاء أم براء ؟ الأمر واضح ...

وهكذا أئمة الإسلام وعلماء الدين من أهل السنة على هذه الجادة ؛ يحبون آل البيت ويعرفون لهم أقدارهم ومنازلهم بدون غلو ولا إفراط ولا تفريط والحق قوام بين ذلك ..

قال " وريحانته رضي الله عنهما " .. أي الحسن والحسين

حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" .. والحسن معدود في صغار الصحابة سناً ؛ وهذا فيه تحمل الصغير ؛ تحمله للحديث على صغره ، والحسن والنعمان وعدد من الصحابة تحملوا أحاديث سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم حال الصغر ـ ربما في السابعة أو السادسة أو الثامنة من أعمارهم ـ وهذا فيه لفتة تربوية لصغار السن إذا أكرمهم الله تبارك وتعالى بحضور مجالس العلم ينبغي عليه أولاً أن يحمد الله أن أكرمه بحضور مجالس العلم ، وثانياً يحرص على أن يضبط ما يلقى من العلم، ويحرص على أن يستقر العلم في قلبه حتى إذا كبر يجد حصيلةً من العلم طيبة مستقرة في قلبه ضبطها في صغره وفي حداثة سنه ؛ وهذه تُعد من النعم العظيمة على الشاب أن يحمل من صغره علماً يستقر في قلبه ويجول في نفسه ويكبر معه ، بخلاف كثير من الصغار الذين ينشأ ون على جهل تام بالدين وعدم دراية به ،وشغل للأوقات كلها بالملهيات وتوافه الأمور خصوصاً في هذا الزمان كثرت الملهيات للصغار ..

فإذا تحركت الهمة في الصغير ، وجعل هؤلاء قدوة له ـ الحسن والحسين والنعمان وغيرهم من صغار الصحابة ـ وطالع سيرهم وأخبارهم واجتهد في التشبه بهم ؛ كان ذاك فيه أكمل فإن الأمر كما

قال أهل العلم : "من كان بهم أشبه كان إلى الخير أقرب" لأنهم أئمة الخير وهداة الخلق والقدوة رضي الله عنهم وأرضاهم .

دع ما يريبك : أي اترك وابتعد واجتنب ..

ما يريبك : الأمر الذي يريبك ، من الريبة .

والريبة : أمر يكون في قلب الإنسان بحيث يكون القلب غير مرتاح ولا مطمئن ، فإذا أقدم الإنسان على أمر يجد قلبه مرتاباً منه قلقاً من فعله ليس مرتاحاً للقيام به ولا مطمئناً لذلك ؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام يوجهه في مثل هذا الأمر إلى أن يدعه وأن يتركه ؛ فإياك أن تُقدم على الأمر الذي ترتاب نفسك منه ولا تطمئن نفسك إليه .

" دع ما يريبك " .. أي أمر يكون في قلبك ارتياب وعدم اطمئنان فلا تقربه . ولعل هذا الارتياب الذي يكون في القلب واعظ يفهمك الله به ، وقد مر في درس سابق قول النبي عليه الصلاة والسلام « إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران وفي السوران أبواب وعلى الأبواب ستور مرخاة وفي أول الصراط داعٍ يقول ياعباد الله ادخلوا الصراط ولا تعوجوا وداع من جوف الصراط يقول يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجه » ثم بيَّن ذلك فقال « الصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب التي عليها الستور المرخاة محارم الله والداع الذي من أول الصراط كتاب الله والداع الذي من جوف الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » فالله عز وجل أكرم المسلم بأن جعل في قلبه واعظاً ؛ ولهذا يلاحظ في نفسه أنه إذا مالت نفسه إلى شيء فيه حرمة أو فيه شبهة ينزعج القلب ويقلق ولا يرتاح وربما يقول لأخيه أو صاحبه " أحس قلبي يؤلمني ، أحس وخز في قلبي ، أنا غير مطمئن " فهذا واعظ ووجوده نعمة من نعم الله على المسلم ، وهذا الواعظ إن دخل الإنسان ـ والعياذ بالله ـ في الحرام وتعمق في الباطل يتبلد عنده هذا الإحساس ويذهب هذا الواعظ ؛ لأن كثرة الإمساس يُذهب الإحساس ، فإذا تعمق في الحرام وتعمق في الباطل فهذا الواعظ يصبح لا وجود له ، وتجده والعياذ بالله يصل إلى مرحلة يتوسع في الباطل ولا يجد في قلبه أي ألم بل يصل إلى حالة في الصباح يسفك دماء وفي المساء يطعم ولا كأنه فعل شيء ، وبعض الناس لو أنه أخطأ وهو في سيارته ومرت قطة وما شعر بها وانكسرت أو ماتت ؛ يبقى أياماً قلقاً ومتألماً ، بينما الآخر الذي توغل في الباطل وتعمق في ظلمات المعاصي يسفك دماءً وفي الصباح يطعم ولا كأنه فعل شيئاً!!

فمن نعم الله سبحانه وتعالى على المسلم ومنته عليه أن جعل في قلبه واعظاً ، ولهذا المسلم إذا أقدم على أمر فيه شبهة تجده يحس بعدم ارتياح ويحس بارتياب من الأمر ، ولهذا بعض المستفتين يأتي إلى بعض أهل العلم ويسأل عن شيء يريد أن يفعله ولا يجد قلبه مرتاحاً وصدره منشرحاً له ..

فالشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام أوصى في مثل هذه الحالة إلى أن يجتنب الأمر فقال " دع ما يريبك " .. أي إذا أقدمت نفسك على أمر أنت في ريبة منه دعه وابحث عن أمر لا ريبة فيه ، إن كان طعاماً أو شراباً أو ذهاباً أو مجيئاً أو أخذاً أو بيعاً أو غير ذلك ؛ إذا كان في نفسك منه ريبة دعه .

وهذا نظير قول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث النعمان بن بشير المتقدم "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" ، ولاحظ الموافقة الطريفة الجميلة ، من صغار الصحابة يرويان هذين الحديثين وهما من أعظم ما يروى في باب الورع واتقاء المشتبه ؛ وهذا يدل على المكانة العلية التي كان عليها صغار الصحابة من الفضل والنبل والحرص على الخير .

"فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" فالشيء المشتبه ومثله الشيء الذي ترتاب منه ؛ فهناك قال " فمن اتقى الشبهات " ، وهنا قال " دع ما يريبك " ؛ فالشيء الذي يشتبه الإنسان منه أو يرتاب ؛ القاعدة الشرعية في هذا الباب والذي تكون منه السلامة والنجاة أن تتركه .

وإذا تربى المسلم على هذا المنهج النبوي الكريم أصبح تركه لما يريبه واتقاءه للمشتبهات حاجزاً وحائلاً بينه وبين الحرام ؛ ولهذا مر معنا هناك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام » . على معنيين مر معنا من كلام النووي رحمه الله تعالى . .

فلهذا الأصل في المسلم أن يربي نفسه وأن يوطدها على تجنب المشتبه وترك الأمور التي يرتاب منها ، الشيء الذي يقع في قلبك منه ريبة .. إياك وإياك .. احذره وابتعد عنه إلا إذا حصل عندك اطمئنان وذهبت الريبة فلا حرج ، أما ما دامت الريبة قائمة مستقرة في القلب إياك وإياك واحذر من خطوات الشيطان ؛ لأن الشيطان يتدرج في الإنسان ليصل به إلى الحرام البيّن من خلال تسهيل الأمور التي في القلب منها ريبة ، والأمور التي فيها اشتباه لدى الإنسان يسهلها على قلبه ونفسه تدرجاً بالإنسان إلى أن يصل به إلى الحرام البين ، أما من

يكرمه الله سبحانه وتعالى باتقاء الشبهات وترك الأمور التي يرتاب منها فهذا يكون فيه بإذن الله سبحانه وتعالى حفظ للدين وصيانة للنفس وبعدٌ عن الحرام .

قال " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " .. إن كنت مرتاباً في شيء فدعه وافعل الذي لا ترتاب منه والذي ليس في قلبك ريبة منه بل أنت مطمئن إليه ؛ فإذا أردت سلوك أحد طريقين أو فعل أحد أمرين أحدهما في قلبك منه ريبة والآخر لا ريبة في قلبك منه فافعل الذي ليس في قلبك ريبة منه ودع ما يريبك .

هذا حديث عظيم جداً في باب الورع بل إنه أساس رصين وقاعدة متينة في هذا الباب يسعد من أكرمه الله تبارك وتعالى بتطبيقها والسير في ضوءها .

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى في شرح هذا الحديث :

[أولاً : هذا الحديث فيه ترك ما يرتاب المرء فيه ولا تطمئن إليه نفسه ، ويحدث قلقاً واضطراباً في النفس ، وأن يصير إلى ما يرتاح إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه ، وهذا الحديث شبيه بما تقدم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام » وهما يدلان على أن المتقيَ ينبغي له أن لا يأكل المال الذي فيه شبهة كما يحرم عليه أحل الحرام] .

الشرح ..

قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث " دع ما يريبك " .. فيه أمر بترك ما يرتاب المرء فيه ولا تطمئن إليه نفسه ويحدث قلقاً واضطراباً في النفس ، إذاً هذا معيار نبوي مبارك يحاول الإنسان أن يتشبث به ، فأي أمر يقدم عليه يجد أن قلبه ليس مطمئناً وأن نفسه ليست مرتاحة أو بداخله شيء عدم الاطمئنان ؛ فالتوجيه النبوي في مثل هذا أن تدعه .

" إلى ما لا يريبك " .. أي اذهب وافعل الأمر الذي يرتاح إليه قلبُك ، وتجد أن قلبك مطمئنٌ ليس فيه قلق أو اضطراب أو نحو ذلك ؛ هذا معنى قوله " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ".

وفيه شبه بحديث النعمان بن بشير في قول النبي عليه الصلاة والسلام " فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام " ؛ ومعنى اتقى الشبهات أي تركها وابتعد عنها ، يحصل له برائتان : براءة للدين أي بينه وبين الله وبراءة للعرض أي بينه وبين الناس ،

ووجه عليه الصلاة والسلام هناك في الأمر المشتبه أن يُتقى ، وهنا وجه في الأمر الذي يرتاب القلب ولا يطمئن إليه بأن يدعه الإنسان .

[ثانياً : قال ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم : ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقاءها ؛ فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب ، والريب بمعنى القلق والاضطراب ، بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك] .

الشرح..

قرر بن رجب رحمه الله هنا أن معنى هذا الحديث « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » راجعٌ إلى معنى حديث النعمان بن بشير الذي فيه الوقوف عند الشبهات لقوله عليه الصلاة والسلام « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » فمعنى هذا الحديث راجعٌ إلى ذاك ، وأن المطلوب من كل مسلم هو أنه إذا أقدم على أمر فيه شبهة أو القلب مرتابٌ منه فعليه أن يدعه وأن يتركه وأن يتقيه وأن يكون منه على حذر لينال بذلك السلامة .

وقال أيضاً [وهاهنا أمرٌ ينبغي التفطنُ له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله بالتقوى والورع ، وأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبه فإنه لا يحتمل له ذلك ؛ بل يُنكر عليه كما قال بن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق " يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول هم ريحانتاي من الدنيا".

الشرح..

هنا ينبه الحافظ ابن رجب رحمه الله إلى مفارقة عجيبة تكون في بعض الناس وهي أنه يدخل في أمور محرمة وهي من عظائم الإثم وكبائر الذنوب ؛ يدخل فيها بدون مبالاة ، ويفعلها بدون ورع ، ويقدم عليها بدون أن يسأل، وتكون عنده هينة ؛ ثم يأتي إلى دقائق من أمور الورع فيسأل عنها ؛

ومثال ذلك الذين سألوا ابن عمر رضي الله عنهما عن دم البعوض فتعجب منهم غاية العجب وقال " يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول هم ريحانتاي من الدنيا " .

فهذه مفارقة عجيبة توجد عند بعض الناس ؛ تجده يقدم على كبيرة من الكبائر ويسأل عن أمر من دقائق الورع ، أو تجده مضيع لفرائض من صلوات وغيرها ؛ ثم يأتي ويسأل عن شيء يتعلق بالنوافل ؛ أفعل كذا أو كذا ؛ فمثل هذا يقال له قبل أن تسأل عن النوافل أدِّ الفرائض ؛ يقول الله عز وجل في الحديث القدسي " ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه " فالفرائض بها يُبدأ ، فتحصل أحيانا مفارقة عجيبة م بعض الناس بأن يبحث ببعض دقائق أمور الورع وهو يفرط في بعض فرائض أو يقدم على محرمات ؛ وكما قال ابن رجب رحمه الله تعالى " فمثل هذا لا يحتمل منه " أي مثل هذه الأسئلة لا تُحتمل ، نعم السؤال يكون محتملاً إذا من إنسان من أهل هذا المقام ، أما شخص موغل في الحرام ويأتي يسأل عن دقائق من أمور الورع أو نحو ذلك ؛ فهذا السؤال غير وارد .

ومن وجه ليس مطابقاً لما هنا ولكن فيه شبه ؛ أحياناً بعض طلبة العلم يقفون على بحث لدى الأئمة السابقين ؛ أيهما أفضل الجلوس للعلم أو صلاة النافلة . فهذا بحث معروف عن أهل العلم السابقين . وبحث هذا إنما جاء عندهم لأن الوقت امتلأ وتزاحمت النوافل وقلَّ الوقت عندهم فيسأل مثل هذا السؤال ؛ أي هل النافلة أولى أم طلب العلم ؟

أحياناً بعض الطلاب الآن نام عن صلاة الفجر وإذا أمسى يقول : أيهما أفضل طلب العلم أم النوافل ؟

فنقول له : لا ؛ الأفضل أنك تصلي الفجر جماعة مع المسلمين في المسجد ، وإذا كنت من أهل الصلوات الخمس تحافظ عليها ؛ بعد ذلك إذا ازدحم وقتك بالأعمال والنوافل إبحث عن هذه المسألة .

وبعض الأسئلة لا تُحتمل . مثلما قال ابن رجب رحمه الله تعالى . إذا كان السؤال مطروحاً من إنسان ليس من أهل هذا المقام ؛ يكون متهاوناً ببعض الفرائض أو متكاسلاً عنها ؛ ثم يبحث في دقائق النوافل والمفاضلة بين النوافل ، فقبل البحث في المفاضلة بين النوافل تُضبط الفرائض " ما تقرب عبدي إليَّ بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" ..

فهذه على كلٍ لفتة جميلة ومفيدة من الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى وجَّه إلى التفطن لها.

قال : [ثالثاً : مما يستفاد من الحديث :

الأول : ترك ما فيه ريبة والأخذ مما لا ريبة فيه .

ثانياً : أن ترك ما يرتاب فيه ؛ فيه راحة للنفس وسلامتها من القلق .

..*

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » حديث حسن رواه الترمذي وغيره هكذا

الشرح..

هذا الحديث من الأحاديث التي عُدت في جوامع الكلم ؛ فألفاظه وجيزة ، ودلالاته بليغة وعديدة ، قال « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وصدَّر الحديث فيه دلالة على تفاوت أهل الإسلام في الإسلام ، وأن منهم من يحسن إسلامه ومنهم من هو دون ذلك ، ففيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف وأن أهل الإسلام يتفاوتون في الإسلام بحسب تفاوتهم في خصالهم وأعمالهم ولهذا قال هنا " من حسن إسلام المرء " .

وقوله " من حسن إسلام المرء " .. فيه دلالة على أن هذه درجة يبلغها مَن حسُنَ إسلامُه ، أما من كان إسلامه فيه ضعف ودينه فيه نقص قد لا يتأتى له ذلك ولا يتحقق منه ، وإنما يتحقق مَن حسُن إسلامُه وقويَ .

" تركه ما لا يعنيه ".. أي ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأقوال والأفعال ، وهنا ينبغي أن ينتبه إلى قوله " ما لا يعنيه " ليس المراد بما لا يعنيه بمقياس الهوى أو ميولات النفس ورغباتها ؛ وإنما المراد بما لا يعنيه قياساً بضابط الشرع وليس بضابط رغبات النفس وميولها ، ربما أخطأ البعض في فهم هذا الحديث وظن أن المراد بقوله " مالا يعنيه" أي ما لا تتجه إليه نفسه ولا يرغبه ولا تتجه عنايته له ويكون إنساناً مصاباً بهوى أو مصاباً بشهوة أو نحو ذلك ؛ فيقيس الأمور في ضوء ذلك ، وهذا من الخطأ في فهم هذا الحديث .

فقوله " ما لا يعنيه " .. المراد بذلك أي بضابط الشرع ؛ بدليل أنه قال " من حسن إسلام المرء " يعني إذا بلغ مبلغ الإحسان في إسلامه لا يفعل الأمر الذي لا يعنيه في إسلامه ودينه أو لا يعنيه في مصالحه المباحة ؛ وعليه فإن قوله " من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه " يدخل فيه ترك الحرام ، ويدخل فيه ترك الآثام ، ويدخل فيه ترك الشبهات ، ويدخل فيه ترك ما يرتاب المرء منه ، ويدخل فيه فضول النظر وفضول الكلام وفضول السماع ؛ فكل ذلك داخل في قوله عليه الصلاة والسلام " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " ؛ فهذا فيه دعوة للمسلم إلى النهوض بإسلامه وأن يقوى دينه وأن يصبح في رتبة حسنة من الدين والإسلام بحيث كل ما لا يعنيه في مصلحة دينه وما لا يعنيه في مصلحة دنياه من الفضول ومن المحرمات ومن الآثام ؛ كل ذلك يتركه .

ومن فوائد هذا الحديث العظيمة أن الترك عدَّهُ النبي صلى الله عليه وسلم عملاً وعدَّهُ إسلاماً ؛ فقال " من حسن إسلام المرء تركه " فترك المحرمات هذا عمل من أعمال المسلم الصالحة الداخلة في إسلامه وإيمانه ؛ فمن إسلامك وإيمانك تركك ما لا يعنيك ؛ ولهذا كما أن الإيمان فعل الفرائض والمستحبات ؛ فإن الإيمان كذلك ترك المحرمات والمكروهات ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » **فعدَّ** عليه الصلاة والسلام اجتناب هذه المحرمات من الإيمان ، فالإيمان كما أنه فعل الواجبات فهو أيضاً ترك المحرمات ، والإسلام كما أنه فعل الفرائض والواجبات فهو أيضاً ترك المحرمات والآثام ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " .

إذاً الحديث يدل على أن ترك الغش ، ترك الخيانة ، ترك الغدر ، ترك الكذب ، ترك النميمة ، ترك الغيبة .. إلى غير ذلك من الأمور ؛ كل ذلك يُعد جزءاً من إسلام المرء يُثاب عليه عند الله تبارك وتعالى مثلما يُثاب على فعل الواجبات ، فالترك يُعَدُّ طاعة كما أن فعل الواجبات يعدّ طاعة ، فطاعة الله عز وجل تجمع فعل المأمور وترك المحظور .

والترك يدخل في عمل المسلم إذا فعله بنية صالحة وطاعة لله وتقرباً إليه سبحانه وتعالى أما ترك الأمر لعدم قدرته عليه مع شدة رغبته فيه فهذا لا يُعد في عمله الصالح .

قال الشيخ عبد المحسن في شرح هذا الحديث :

[الأول : معنى هذا الحديث أن المسلم يترك ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا في الأقوال والأفعال ، ومفهومه أنه يجتهد فيما يعنيه في ذلك] .

الشرح..

هذا الحديث يدل كما هو في ظاهره على أن من حسن إسلام المرء تركه لا يعنيه؛ أي ما لا يهمه من أمر الدين أو الدنيا ، سواءً في الأقوال أو في الأفعال ، ويُفهم من ذلك أن المسلم مطلوب منه في مقابل ذلك أن يجتهد في فعل ما يعنيه ، وحتى نفهم الحديث أكثر ـ لأنه كما أشرت ربما بعض الناس يسيء فهم هذا الحديث – ونضرب أمثلة للتقريب والتوضيح : الصلاة والصيام والحج والصدقة وبر الوالدين وصلة الأرحام .. هذه كلها مما يعني المسلم ؛ فالحديث يفيد أن الأمر الذي يعني المسلم في دينه أو أيضاً يعنيه في دنياه في طلب المباح من الرزق ونحو ذلك يحرص عليه ، كما في الحديث الآخر «احرص على ما ينفعك واستعن بالله » فهذه فائدة في الحديث.

الفائدة الأخرى : منطوق الحديث وظاهر دلالته أن يترك المسلم الأشياء التي لا تعنيه ، فالمحرمات كلها برمتها لا تعني المسلم ، ليس منها وليست منه ولا من أهلها ، فمن حسن إسلامه تركها ، وكذلك فضول الكلام ، فضول النظر ، فضول السماع ؛ فهذا كله لا يعني المؤمن ؛ فمن حسن إسلامه ترك ذلك واجتنابه .

[ثانياً : قال ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم :

ومعنى هذا الحديث أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه من قول وفعل ، واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال ، ومعنى يعنيه أنه تتعلق عنايته به ، ويكون من مقصده ومطلوبه ، والعناية شدة الاهتمام بالشيء ، يقال عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه وليس المراد أنه يترك ما لاعناية له ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس بل بحكم الشرع والإسلام ولهذا جعله من حسن الإسلام ، فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام ، وإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال صلى الله عليه وسلم " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "، وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات

والمكروهات وفضول المباحات التي لا يُحتاج إليها ؛ فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته لقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يستحيا منه] .

الشرح..

هذا كلام عظيم جداً للإمام الحافظ رحمه الله تعالى في كتابه جامع العلوم والحكم في بيان معنى هذا الحديث ومدلوله .

وذكره رحمه الله تعالى أن قوله ما لا يعنيه هو من العناية ، والعناية هي شدة الاهتمام بالشيء ؛ يقال عناه يعني إذا اهتم به وطلبه ؛ فقوله " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " أي اجتنابه الأمر الذي لا يهتم أو يحصل له عناية به واهتمام ، لكن نبه رحمه الله على قيد مهم وضابط لابد من فهمه والعناية به قال : " وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس " ليس هذا المراد ؛ وهذا الذي أشير إليه قبل قليل أن بعض الناس يخطيء في فهم الحديث ويظن أن المراد بما لا يعنيه بحكم الهوى وطلب النفس أو إرادتها ؛ يعني شيئاً ليس له رغبة فيه ـ بقطع النظر على الحكم الشرعي . ثم يقول " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " فهذا إنزال للحديث في غير منزله ، ووضع له في غير مكانته ، وهذا من المفارقات التي أشرنا إليها و تراه يقول " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " فيترك أمراً لا رغبة فيه ثم يأتي وقت الصلاة ولا يصلي ؛ فهل طبق الحديث ؟ هل طبق قوله عليه الصلاة والسلام " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " ؟

أو مثلاً تجده يترك أمراً لا رغبة له فيه ويقول من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم يرتكب أمراً محرماً ؛ فهل هو من أهل هذا الحديث ؟ فالتنبيه هذا عظيم جداً فيقول الإمام بن رجب " ليس المراد أنه يترك ما لا عناية له ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس " يعني ليس المقياس هوى الإنسان أو طلب نفسه

إذاً ماهو المقياس حتى نعرف أن الأمر يعنينا أو لا يعنينا ؟ قال " بل بحكم الشرع والإسلام " ما لا يعنيه بحكم الشرع أو الإسلام لا بحكم الهوى والنفس أو ميولاتها ؛ ولهذا جعله من حسن

الإسلام ، إذاً لابد أن يُقاس . هذا الذي عُدَّ من حسن الإسلام . ينبغي أن يُقاس بالإسلام نفسه ، لا يقاس بالأهواء ولا يقاس بميولات النفس ، ولو كان يُقاس بميولات النفس كما هو الفهم الخاطئ لكان اللفظ " من حسن ميولات النفس ترك الإنسان ما لا يعنيه " فالضابط ليس راجعاً إلى ميول النفس أو الهوى أو رغبة الإنسان نفسه وإما الأمر عائد إلى الإسلام نفسه ولهذا قال « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » فإذا تركه لما لا يعنيه يضبط بضابط الإسلام ولا يكون يضبط بضابط الأهواء أو الرغبات أو ميولات النفس ..

والإسلام كما أنه يقتضي فعل الواجبات فإنه يقتضي أيضا ترك المحرمات ومن ذلكم قول النبي عليه الصلاة والسلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » والمراد بالمسلم أي كامل الإسلام ، وهذا واضح مع الحديث الذي ساقه المؤلف . حديث أبي هريرة . فيهما أن حسن الإسلام يقتضي ترك المنهيات والبعد عن المحرمات ؛ ولهذا يقول الحافظ بن رجب " وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها – فإن هذا كله لا يعني المسلم – فإذا وقع المسلم في شيء من هذه الأمور . مثل المشتبهات أو المحرمات أو المكروهات . نقص إسلامه بحسب ما وقع فيه من هذه الأشياء " .

قال : [ثالثاً: مما يستفاد من الحديث :

الأول : ترك الإنسان ما لا يعنيه في أمور الدين والدنيا .

ثانياً : اشتغال الإنسان بما يعنيه من أمور دينه ودنياه .

ثالثاً : أن في ترك ما لا يعنيه راحةً لنفسه وحفظاً لوقته وسلامةً لعرضه .

رابعاً : تفاوت الناس في الإسلام] .

..*

الحديث الثالث عشر

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري ومسلم

الشرح..

هذا الحديث أيضاً من الأحاديث التي هي من جوامع كلم النبي عليه الصلاة والسلام وهو من الأحاديث الدالة على كمال هذا الدين وعظمته وأنه دينٌ يجمع أهله على أحسن حال ويربط بينهم بأحسن رابطة ، فهو الدين الذي يؤلف بين القلوب ويجمع بين النفوس ، وهو الدين الذي يجمع المفترق ـ الأجناس المفترقة يجمعها الدين ـ فكيف بأهل الجنس الواحد . يقول تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ﴾ الملائكة جنس آخر غير جنس البشر لكنهم يحبون أهل الإيمان ، وأهل الإيمان يحبونهم ، والرابطة هي الإيمان بين الجميع ، والبشر عندما يجتمعون على هذا الدين يجمعهم هذا الدين على الصفاء والنقاء وسلامة القلوب والتحاب في الله والتآخي في الله ؛ وهذا أمر لا يوجد إلا في هذا الدين ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ﴾ فالدين هو الذي ألف بين القلوب المتنافرة والنفوس المتعادية ، وأُخوة الإيمان هي الأُخوة الصادقة الباقية في الدنيا والآخرة ، وأما التآخي في أمر الدنيا فهو زائل إما في الدنيا أو في الآخرة قطعاً ، يقول تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ وفي الآية الأخرى قال ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ فمن جمال هذا الإسلام وعظمة هذا الدين أن جعل بين أهله رابطة هي أوثق الروابط ، ودعى الجميع إلى أن يحب بعضهم بعضاً وأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، وعُدَّ هذا في الدين من واجبات الدين ومن واجبات الإيمان بحيث لو تركه أثم ونقص إيمانه الواجب ؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث العظيم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " أي من الخير .

وقوله " لا يؤمن " فيه نفي الإيمان ، ونفي الإيمان لا يأتي في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام إلا عند ترك واجب من واجبات الإيمان ؛ فلا ينفى الإيمان بترك مستحب وإنما يُنفى بترك واجب ؛ ولهذا قال في صدره " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ، فأفاد نفيُ

الإيمان في صدر هذا الحديث أن كون الإنسان لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه هذا دليل على نقص إيمانه الواجب ، ويأثم بذلك .

قال " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ولاحظ هنا أن المطلوب هو الحب ـ الذي هو في القلب ـ فالمطلوب من المسلم أن يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه من الخير ، تحب لنفسك العلم أحبها لهم ، تحب لنفسك الصلاة والعبادة أحبها لهم ، إذا رأيت طلاب العلم افرح إذا رأيت إخوانك المسلمين افرح لذلك ، تحب لنفسك المال الطيب الرزق الحلال إذا أكرم اللهُ أحد إخوانك المسلمين بمال طيب أحب له ذلك ، فكما أنك تحب لنفسك ذلك فأحبه لإخوانك ؛ ولهذا أمراض القلوب المتنوعة من الحسد والحقد وأمراض القلوب المتنوعة تنافي الإيمان الواجب وهي حالُ من لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؛ فالحسود والحاقد ومن في قلبه غل وأمثال هؤلاء ؛ فهؤلاء لم يصلوا إلى تحقيق هذا الإيمان الواجب ـ وهو أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ـ .

فالمسلم من إيمانه الواجب الذي افترضه الله سبحانه وتعالى وأوجبه عليه أن يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه ، أي شيء تحبه لنفسك من الخير إن أكرم الله به سبحانه وتعالى أحداً من إخوانك أحبه لهم ، وتمنى حصوله لإخوانك وأحب ذلك لإخوانك .

المطلوب في الحديث أمرٌ قلبي ؛ فليس المطلوب أمرٌ عملي ـ في الظاهر ـ يعني لم يطلب منك أن تقسم مالك بينك وبين إخوانك أو نحو ذلك من الأمور الظاهرة ؛ المطلوب منك وهو واجب من واجبات الإيمان وهو أن تصلح قلبك بحيث لا يكون في قلبك لإخوانك إلا الحب ، إن وقع في قلب إنسان حسد أو حقد أو غير ذلك من أمراض القلوب وعللها ؛ فهذا من نقص الإيمان الواجب .

فدعى عليه الصلاة والسلام إلى هذا الواجب وهو سلامة القلب تجاه الإخوان وعمارةً للمحبة ، تحب إخوانك المسلمين وتحب لهم ما تحب لنفسك من الخير ؛ ولهذا إذا رأى الإنسان والعياذ بالله نفسه تتضايق وتنزعج من حصول نعمة لبعض الإخوان في الدين أو في الدنيا ؛ هذا أمارة على نقص الإيمان الواجب لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال " لا يؤمن أحدكم ـ أي الإيمان الواجب ـ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

قال الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله :

[الأول : في هذا الحديث نفي كمال الإيمان الواجب عن المسلم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وذلك في أمور الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به ، فقد جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما في حديث طويل " فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه " قال الله عز وجل ﴿ ويلٌ للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ .

الشرح..

هذا الحديث نفى النبي عليه الصلاة والسلام فيه الإيمان الواجب عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولاحظ قوله " لأخيه " فهذا فيه إلانة للقلوب وتذكير بأن هناك جامع ورابط بين أهل الإيمان وهو الأُخوة الدينية ، وأُخوة الدين أعظم من أُخوة النسب قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون أُخوة ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « وكونوا عباد الله إخواناً » .

الأُخوة الدينية أعظم ؛ مثل ما قال بعض أهل العلم الأخوَّة الدينية أعظم من الأُخوة الطينية ، الأُخوة التي يجمع فيها دين واحد أعظم ، وثمرتها مباركة على أهلها في الدنيا والآخرة ، أما الأُخوة الطينية ـ التي هي أخوة النسب ـ فقد يكون أحدهم من أهل الجنة والآخر من أهل النار والعياذ بالله لكن الأخوة الدين باقية لا تنقطع وأما أخوة النسب فالله سبحانه يقول ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب ﴾ وقال ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أخوة الإيمان التي هي لله وبالله باقية ومستمرة ودائمة فذكر هنا أخيه تذكيرًا بهذا المقام مقام الأخوة قال " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه " هذا تذكير بما تقتضيه هذه الأُخوة من محبة بين الإخوان .

فقوله في الحديث " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فيه نفيٌ لكمال الإيمان الواجب .

وهنا ينبغي أن نعرف أن كمال الإيمان كمالان :

- الكمال الواجب : بفعل الواجبات وترك المحرمات .
- الكمال المستحب : بفعل المستحبات وترك المكروهات ـ المكروه كراهة التنزيه ـ تركه من كمال الإيمان المستحب ؛ ولهذا لا يأتي نفيٌ الإيمان في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام في ترك

مستحب أو فعل مكروه –كراهة التنزيه . وإنما يأتي نفيُ الإيمان إما في فعل محرم أو في ترك واجب

هذه قاعدة : لا يأتي في الإيمان في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في فعل محرم أو ترك واجب في مثل هذا يُنفى الإيمان « لا إيمان لمن لا أمانة له » ، « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » ؛ فينفى الإيمان في ترك الواجبات وفي فعل المحرمات ، ولا يأتي في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام نفي الإيمان في ترك مستحب أو في فعل مكروه .

فهذا نستفيد منه فائدة أن نفي الإيمان في هذا الحديث في قوله " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " دليل على أن عدم حب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه دليل على نقص إيمانه الواجب ، ويأثم بذلك .

وقوله " حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " أي من الخير في الأمور الدينية والدنيوية ، واحذر أشد الحذر أن ينزعج قلبك من خير أكرم الله سبحانه وتعالى به بعض إخوانك ؛ مثل أن يكون أحد إخوانك وُفِّق للعلم أو وفق للصلاة أو وفق للصيام أو وفق لأعمال الخير ؛ فكل هذا أحبه لإخوانك مثل ما تحب أن يكون لنفسك ؛ وهذا من كمال الإيمان الواجب .

وهذا يقتضي أن تحسن المعاملة مثل ما أنك تحب من إخوانك أن يعاملوك بالمعاملة الطيبة فأنت كذلك عاملهم بالمعاملة الطيبة ؛ وهذا نصَّ عليه صلوات الله وسلامه عليه في حديث آخر في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال « فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤت إليه »

وهذه قاعدة عظيمة في التعامل وقاعدة عظيمة جداً في حسن الخلق، وكثيرا ما أقول أن قول النبي عليه الصلاة والسلام « و ليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤت إليه » كثيراً ما أقول إن هذا أحسن ضابط في حسن الخلق ، ومن أروع ما يكون وأحسن ما يكون في ضبط حسن الخلق أن يأتيَ إلى الناس الذي يحب أن يؤت إليه ،

دائماً إذا تساءلت في نفسك في تعاملك مع أبيك أو أمك أو خالك أو جارك أو البائع أو المعلم أو غيرهم ؛ تساءلت ما هو حسن الخلق الذي يليق أن أعامله به ؟

حسن الخلق أن تأتيَ إليه الذي تحب أن يؤت إليه ؛ تريد أن تعامل والدك المعاملة الطيبة اعتبر نفسك أنت الوالد ؛ ماذا تريد من ابنك أن يعاملك به ؟ فهذا الذي تريد من ابنك أن تُعامل به عامل به والدك .

وإذا أردت أن تعامل أخاك الكبير ؛ فقدر نفسك أنك أنت الأخ الكبير ماذا تحب أن يعاملك أخوك الصغير ؛ هذا هو حسن الخلق .

إذا أردت أن تتعامل مع معلمك أو مع بائعاً أو غيرهم ؛ اعتبر نفسك أنك أنت هو ..ماذا تحب أن يعاملك به

فهذا ضابط من أحسن وأجمع ما يكون في حسن الخلق ؛ قال " وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤت إليه " .. الشيء الذي تحب أن تُعامل به عامل الناس به .

ثم هنا ملحظ وهو : عامل الناس بما تحب أن تُعامل به تقرباً إلى الله جل وعلا . وهذا الضابط إذا غُفل عنه تضيع الأخلاق ؛ لأن الإنسان إذا عامل الناس بما يحب أن يعاملوه به في شيء يطلبه منهم مع الأيام يصدم بأشياء من تعاملات الناس فيتوقف عن الأخلاق ، وكثيرٌ ما توقف أناس عن الأخلاق الطيبة لأنهم قدموا تلك بأمر يطلبونه من الناس فلم يحصل؛ فتركوا الأخلاق .

لكن المطلوب في باب الخُلق أن تفعل الخُلق تقرباً إلى الله عز وجل ؛ لأن الله عز وجل أمرك بذلك ، وقد سُئل عليه الصلاة والسلام عن أعظم شيء يدخل الناس الجنة قال «تقوى الله وحسن الخلق» وقال « أدناكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً »؛ فالمسلم يفعل الأخلاق مع الناس حتى أيضاً مع الكفار ﴿ لا ينهاكم الله عن الذي لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ تأليفاً لقلوبهم وجذباً لنفوسهم إلى الدخول في الدين، والله يقول لنبيه ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

فالشاهد أن حسن الخلق ينبغي أن يُبذل وأن يأتي الإنسان إلى الناس الشيء الذي يحب أن يؤتى إليه تقرباً إلى الله ؛ ولهذا لاحظ قال " من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤت إليه " بمعنى أن هذه قربة تنفعك يوم القيامة وتعلو بها درجتك عند الله يوم القيامة .

فحافظ على هذا القرب تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، ودائماً في كل الأبواب تأتي إلى الناس الشيء الذي تحب أن يؤت إليك ولا تنتظر منهم جزاءً ولا شكوراً ؛ انتظر الجزاء العظيم من الرب سبحانه وتعالى ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزآءً ولا شكوراً ﴾ .

والآيات ﴿ ويلٌ للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ هل الذين توعدهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حققوا المعنى الوارد في الحديث " أن يؤت إلى الناس الشيء الذي يحب أن يؤت إليه " ..؟ فتجده إذا كان الحق له يطلبه وافياً ولا يرضى أن يُنقص منه شيء ، وإذا كان عليه يمتنع من أدائه والوفاء به ؛ فهذا الويل وهو العذاب الشديد.

قال الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم :

[وحديث أنس يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير ، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء] .

الشرح..

هذا كلام متين وعظيم من الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى في بيان هذا الحديث ؛ يقول :

" إن المؤمن يسرّه " .. أي يفرح ويغتبط بالشيء الذي يفرح أخاه المؤمن .

ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير : هذا شأن المؤمن وهذه صفته .

وهذا إنما يكون من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد : إذا كمل الصدر سلامة من الغل والغش والحسد يكون الإنسان بهذه المنزلة ، أما إذا مرض القلب والعياذ بالله بالحقد أو مرض بالحسد أو الغل ؛ لا يصل إلى هذا الإيمان الواجب المذكور في حديث النبي عليه الصلاة والسلام لماذا ؟ قال :

" لأن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحدٌ في خير أو يساويه فيه " ولهذا يقال الحاسد عدوٌ لنعمة الله ؛ لأن الحاسد إذا رأى النعمة عند غيره تمنى زوالها عن الغير سواءً

كانت النعمة دينية أو دنيوية ؛ فالحاسد إذا رأى النعمة عند الآخرين تمنى زوالها ؛ وهذا ينافي الإيمان الواجب الذي ذكره النبي صلوات الله وسلامه عليه ، لماذا الحاسد يتمنى هذا التمني؟ قال :

" لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائل وينفرد بها عنهم" ولهذا إذا كان طالب علم ورأى أحد زملائه في الطلب حفظ أكثر منه ؛ انزعج قلبه وتضايق وتمنى أن يذهب هذا العلم الذي في قلب أخيه ، وإذا كان من أهل صيام ورأى شخصاً بدأ يصوم أكثر من صيامه تضايق!!

والواجب أن تفرح وتُسر بذلك لأن هذا عز للدين وقوة للمسلمين، لعل هذا الأخ الذي برَّ في العلم وفاق أقرانه يكون إماماً ينفع الله به ؛ فماذا يضرك ؟ هذا عز لدينك ، ورفعة لدينك . فوجود هذا الداء إنما يكون من نقص الإيمان – الحسد والغل والحقد –؛ لأن الحاسد لا يحب أن يتميز عليه أحد ، وإذا حدث أن تميز عليه أحد بعلم أو بدين أو بمال أو غير ذلك ؛ انزعج قلبه تمام الانزعاج وتمنى أن تزول تلك النعمة .

قال : والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء" يعني الشيء الذي عندك باق ؛ لكن أيضاً تمنى أن يشرك إخوانك المسلمون في العلم في العبادة في المال .. ؛ ويبقى حقُّك لك ، لكن قلبك يكون سليماً نقياً مع إخوانك المسلمين .

وقال رحمه الله تعالى :

[وفي الجملة ينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه فإن رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه] .

الشرح..

وهذا أيضاً من الفوائد التي تُفهم من هذا الحديث ؛ فإذا رأيت في أخيك أمراً تكرهه لنفسك تناصحه فناصح أخيك وتمنى أن يذهب عنه هذا الأمر الذي تكرهه لنفسك ؛ مثل أن ترى أحد إخوانك مبتلى بمعصية أو مبتلى بذنب ؛ فكن كارهاً هذا الذنب لأخيك مبغضاً له ، ومن مقتضيات الأُخوة الإيمانية أن تناصحه لعل الله سبحانه وتعالى يهديه على يديك ، وإذا كنت أخاً محباً رحيماً رفيقاً لطيفاً محسناً فإن كلامك يقع في القلوب موقعه ، والكلام الذي

يصدر من القلب يدخل إلى القلب ، فإذا كنت تحب أخاك ويحس بذلك منك فإن نصحك له ينفعه ، ويفيده بإذن الله تبارك وتعالى ؛ وهذا من ثمار الإيمان الصادق .

قال : [ثالثاً : مما يستفاد من الحديث :

الأول : أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها .

ثانياً : الترغيب في ذلك بنفي كمال الإيمان الواجب عنه حتى يكون كذلك .

ثالثاً : أن المؤمنين يتفاوتون في الإيمان .

رابعاً : التعبير بأخيه فيه استعطافٌ للمسلم بأن يحصل منه لأخيه ذلك .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد و آله وصحبه

..*